http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1790) السنة السابعة - الاحد (9) أيار 2010

قراءة في المجموعة القصصية الأولى لـ"علي عبدالسادة"

بنـاء الـذات المستلبـة في passport

واثق غازي

في البدء لا بد من تمهيد يضع الأمور في نصابها . وأعني إنني سأتناول في هذه القراءة مجموعة القاص علي عبد السادة المسماة(passport) بشيء من التفصيل وأن كان تناولا مقتضبا ضمن هيكل المجموعة ككل. لذا أضع رسمة المجموعة كنص واحد ومن ثم أحدد موجبات الدخول إلى العوالم المتناولة من قبل القاص. وضع القاص علي عبد السادة عنوان مجموعته القصصية باللغة الإنكليزية. ثم وضع على الغلاف الأول صورة جزء نحتي معروف للمتلقي العراقي أو (المعني) بالرسالة من وراء الرمز. ثم أستهل المجموعة (بكلمة) أراد لها أن تكون مفتاحاً أو مفتتحاً من وجهة نظره تمثل حالة شعورية تجاه واقع ما، أو واقع يعرفه. ثم جزّءَ المجموعة إلى أبواب تدل على مضان ما وراءها. وهي (سلاطين: خطابات سرية للغاية وخطابات علنية للغاية) ثم (أحجار مضروبة) ثم (ما من وطن هنا). ولكي يكون التمهيد واضحاً أقول أن هذه العلامات جميعاً هي موجهات قرائية جعلت من النص ككل وحدة واضحة المعالم وخطاب ذا سمة محددة.

وهذا النهج وإن أقترب من واقعية الصورة – الحدث، إلا إنه حاول دفع الحالة التصويرية عبر راو واحد مطلع عليم مما يؤكد حميمية العلاقة ما بين المشاهد المتباينة في النص ككل (passport) وبين الكاتب. وهذا النهج، للأسف أقول، تغافلته المناهج الحديثة عبر القراءة النقدية واعتبرته إفراطاً في تأصيل وقع الحدث أو ما يسمى تأصيل الظاهرة لدى الفرنسيين.

إلا أن القاص هنا قدم لنا صورا غاية في الدقة وقد جاءت هذه الصور محملة بحمولات تاريخية وواقعية أراد من خلال بث الحياة فيها وضع اليد على ما قد تتلفه الذاكرة فيصبح حقاً مهدوراً. وقبل البدء في قراءتي لمهيمنات المجموعة لابد أن أحدد أهمية العلامات التي ذهب إليها القاص. وهل أسهمت في رفد النص ككل أم لا ؟

١ . (passport) قد لا يقدم الملفوظ دلالة بعينها إلا في قاعدة منشأه. بمعنى إننا ندرك كمتلقين مدلول المفردة لا معناها. وأنا أعتقد إن القاص قد راهن على المعنى لا على المدلول. إذ إن (تحليل المعنى المعضلة الأساسية لعلم الألفاظ . كيف نحدد معنى الكلمة؟ وكيف نميز بين مختلف معاني الكلمة) وهنا رسم المفردة (passport) باللغة الإنكليزية تجاوزمدلولها إلى معناها وهذا الأمر نجح إلى حد ما في توصيل (أمر) لدى القاص أعتبرهُ خارج سياق النص ككل. لربما هي (محاولة) إيجاد هويّة لدى الجيل الذي ينبت ما بين الحروب.

٢ .أما الجزء النحتي الموضوع على غلاف المجموعة فقد جاء خطاب عابر لذاته . بمعنى هو متحد مع أحد العناصر الأساسية للقص (الزمن) بحمولاته ورموزه المتباينة. إن هذا الجزء من نصب الحرية كصورة بصرية لم يضف للمجموعة شيئا ذا قيمة إلا إذا ربطناه بسياق المعنى الكلي. أي إلى ما يرمز إليه نصب الحرية:عبور الزمن..تخطي الأزمات.. تجاوز الضاغط المرحلي.. إعادة تأهيل الذات.. ؟ هذا المعنى هو الذي يجوّز وجود مفردة (passport) وهو ما جعلني أقول إنها محاولة من القاص لإيجاد هويّة إنسانية قبل أن تكون حكائية تحددها الرموز ة المسميات.

٣ .ثم الكلمة التي ورد فيها مفردتان أنقذاها من المباشرة العابرة (الثورات. والانتفاضات) وهما يقعان تحت نطاق سرد المحفزات. أي ما يقع في خلد التوقع قابل للمعاينة في حال أنوجد في توافر العوامل. إنه استرداد لمهيمنات الملكة ولا علاقة للخطاب السردي القصصي فيها بل هي مؤثرات ينبني عليها أفق العلاقة ما بين النص ومحفزاته.

٤ .جزّءَ القاص مجموعته إلى ثلاثة أبواب ذكرتُها سلفاً إلا أنه يجب طرح السؤال التالي: هل حققت المجموعة (بمرحلّتها) ما حاول القاص الإمساك به عبر تجزئة المضمون وهي فكرة رائدة باعتقادي لأنه عادة تنهج الرؤية لدى القصاصين إلى حشد المضمون عبر كتلة واحدة للنص أو تكتيل النص . ويتجلى ذلك عبر حوارات يتماها السارد فيها بشخصية الحدث أو البطل مما يعقد الوصول إلى رؤية أيهما المطروحة. السارد القاص أم البطل المسرود عنه!

هكذا أستطيع القول أن العلامات التي أوردتُ ذكرها قد أسهمت في تحفيز نظرة قرائية لدى المتلقي المنتج مما أفرز نصوصاً معينة مثلت رسالة الخطاب الذي أجتهد القاص في توصيله عبر لغة سيأتي تناولها لما لها من أثر على بنيةً القص.

أبدء بالإطار العام لفحوى نصوص (passport) تندرج نصوص (passport) تحت ما يسمى بالنص المستعاد. فهي في العام ٢٠٠٩ صدرت وذلك حسب التأريخ الموقع .. وهنا أضع علامة استفهام حول عدم إثبات التأريخ على المطبوع الصادر عن دار التكوين . قد يكون سهواً. وقد يكون محاولة لتجذير القضايا التي ذهب النص يعالجها لتبقى كأنها من وجهة نظر القاص ما زالت قيد التحقق. وهذا ما أرجو.

.. النص المستعاد: هو النص الذي يتصدى لحدث ما برؤية معاصرة أو حداثية سواء كان هذا الحدث في الزمن الماضي أو هو حدث معاصر؛ لذا إندرجت نصوص (passport) في فحواها تحت:

١ . الحدث بوصفه مهيمن مكاني.

٢ .الإنسان مستلباً عبر فضاء الزمن العام (سلبية الإرادة الجمعية).

٣ .حتمية الاستنتاجات.

ولكي أبرّزَ ما ذهبتُ إليه أنتخب قصصاً ثلاث حوت في بنيتها الرمزية مجمل مرتكزات نصوص المجموعة : وأبدأ أولا بقصة : (انتظار) في هذا النص ، القصة تأخذ الحكاية العادية مأخذ ها من بنية النص .. حيث نلحظ الترتيب التالي:زمن (عام الطاحونة الثالث) مكان (سأنتظرك في ساحة النصر) وشخوص (أيها الجندي .. رسالة لك..) (الأنسة حبيبة ج. م..) إضافة لأماكن أخرى ثانوية الدّور ...

إلا أن النص، القصة تصدى ببراعة لحالة إنسانية تسود في كل وقت وتشتد في أزمات الحروب. انه الفقد.. عالج النص فقد الإنسان لإرادته على تفادي الكوارث عبر دخول أتون الحروب دون أن يكون له شأن فيها (حتى عندما يدخل الناس إلى الحمام يلقون تحية العسكر للمرحاض ويتبولون بالبزة الخاكية)، ثم عالج غياب شخصية الفردية، أناه، ذات الإنسان . عبر شخصية الإطار أو الإيديولوجية الظرفية. (وستبدو لك نصف شخصيتي جلية في الحذاءِ الايطالي الأسود الذي سأرتديه في الموعد) ثم عالج النص ببراعة مذهلة (كيفية إيجاد الأمل) أو صناعة الرجاء. وذلك بعد صور الرصاص والبارود والعدم والمدى وساعة الحرب المتواصلة. ينبثق الأمل بالمكان وبالإنسان وبالتجدد (ينقصني يا حبيبي، الزهو بك بينما أهازيج المحتفلين تنشئ الضجيج، كما زهر البنفسج، من حولنا في فندق عشتار..)

ثم عالج النص عبر شفرة تكاد تخفي . وهي: هل تلد الحرب حربا .؟(حبيبي ..أنا حامل) هل تورث الإرادة المستلبة إرادة أكثر قبحا وهكذا تتناسل العدمية حتى تصل إلى صورة أخرى أكثر بشاعة وأعظم تأثيرا .. وهي حدث تكاد تألفه الذائقة المستلبة عبر اقترانها بمد من السطوة على حريتها (انتحار) يعالج النص القصة واقعة هي في الموروث أعمق منها في الإطار الذي وضعها فيه القاص إذ إن سلب ما لدى الآخر هذه خصيصة متجذرة في بناء شخصية العربي القبلي ولم تغير كل مساعي الحضارة من تلك الشخصية إلا اليسير . لذا نجدها عند من امتلك زمام الأمور. بإبعادها الثلاث الاقتصادية والسياسية والدينية . يستعيد تلك الكوامن عبرممارسات تدخل ضمن مبذولات ولي الأمر في العالم العربي؛ إما كيف عالج النص القصة موضوعة سلب (الرئيس) زوجة المسكين. فقد عالجها بأداة الذات المستلبة. بدت جميع الشخوص في القصة ذوات مستلبة الإرادة بما فيهم الرئيس.

(السادة الوزراء يحضرون اجتماع القيادة ويهزون برؤوسهم متظاهرين بوجوده على رأس الطاولة) .(إن الحرب ترهق المنتصرين دوما . وتدخلهم أحيانا في نوبات من الكآبة والشعور بالروتين)

(أظنك فهمت المراد)

(في تلك الليلة كان عليهما حسم الأمر)

(–إن رفضت سيقتلونني)

(–وان قبلت سأقتل نفسي)

(لكن ردك الصامت فسروه برضاك على عرضهم)

وهنا تأييد على حقيقة إن الأنظمة المستبدة تسلب القيم عبر نزوات عابرة وهفوات مرحلية . وهذا التشخيص من قبل القاص انسحب على كامل المجموعة. أنها الهفوات التي تؤدي بأفضل ما نمتلك

.. أما في قصة (الأسير) التي اعتبرها قصة ناضجة جداً من بين قصص المجموعة . لأسباب تتعلق بفلسفة الحدث . حيث إن اقتران الإحداث بزمان أو مكان معينين أمر عادي. إلا أنه عندما يقترن الحدث بذات الإنسان يتحول الأمر إلى فلسفة وجود . في هذا النص إشارات قد تكون غير مقصودة الا انها توحي إلى مداليل فلسفية :

(الطاحونة توقفت عن العمل. ونقلها الرئيس إلى المتحف)

الإشارة الفلسفية: إن مبدأ الاحتكار مآلهُ الزوال. (توقفت. المتحف)

قراءة الزمن المستعاد: (سقطت احدى الرسائل القديمة، وكانت آخرها)

الإشارة الفلسفية: الرسالة لا يمكن إن تتقادم. بحكم إن الخطاب الموجه يظل فعالا بمجرد انطلاقه.. (لكنني وجدت الطريق إلى المنزل)

الإشارة الفلسفية: إن انزياح الذات من غاية لأخرى لا يتأثر إلا بعد طول مران ودراية.

ثم يعالج النص القصة أهم قضية بشرية.. اعتقد أنها انفرطت من بين يدي القاص

(ألستَ أخي ؟ أنا الأسير . لقد عدت ، لكن ماذا تفعل في غرفة نومي)

إنه التناحر الأبدي عبر مخيلة الاستحواذ لدى الإنسان على بني جنسه. إنها القصة الأزلية. كم من قابيل وهابيل أكلت تلك الحروب التي خبرناها .وأولدتهم ثانيةً ؟

لقد قدم القاص علي عبد السادة نماذج قصصية تستحق الوقوف عندها. عبر لغة تماست مع لغة الشعر، في بعض مفاصلها :

(ثمة شيء على قبعتي)

(في غفلة من عنفوان بغداد أنقطع ، مثل خرز ملكي أجمل شريان يربط الكرخ بالرصافة)

وهنا إذ أغفلنا الترقيم وذكر النصوص حسب تنضيدها الطباعي . فهو لأمر القصد منه إن مجموعة (passport) التي وصفناها في هذه القراءة بكلمة نص لاعتقادنا أنها تقرأ كوحدة متداخلة ذات مضامين مترابطة.

متابعة

اللغة الكردية ثروة وطنية وموضوع مؤتمر للأدب في إيران

عبد الكريم يحيى الزيباري

يوم الخميس المصادف السادس من أيَّار أختتمَت أعمال المؤتمر الدولي الأول والذي قام بتنظيم أعماله وفعالياته جامعة كردستان في محافظة سنندج الإيرانية حول الأدب الكردي في إيران تحت شعار (اللغة الكردية ثروة وطنية) وكانت فعاليات المؤتمر العلمي قد بدأت يوم الثلاثاء، بواقع جلستين، بدأت الجلسة الصباحية بضمنها فعاليات الافتتاح وكلمات الترحيب والمحاضرة الأولى والثانية في قاعة مركزية، ثم في الجلسة الثانية توزّعت المحاضرات على عدد من القاعات بسبب عدد المشاركين.

حيث شاركَ أكثر من ٤٠ باحثاً من مختلف أنحاء العالم في إلقاء محاضرات ذات اختصاص دقيق في المؤتمر، وذكر المنسِّق العلمي للمؤتمر الدكتور نجم الدين جباري (أنَّ الجامعة قد أعلنت من خلال موقعها على الانترنت ومن خلال وسائل الإعلام الأخرى بدء استلام الأبحاث، قبل أكثر من أربعة اشهر على بدء الفعاليات، واستلمت اللجان أكثر من ١٤٥ بحثا علميا وأكاديميا حول الأدب الكردي، ووافقت اللجان على أربعين بحث فقط، فيما رُفِضَت بقية الأبحاث، من قبل لجان التحكيم والمؤلفة من خمسة عشر أستاذا أكاديمياً من مختلف الاختصاصات، وحيث اختارت اللجنة ثلاثة وثمانين بحثاً موافقاً للشروط، ثمَّ عرضت الأبحاث أمام لجنة أخرى، اختارت اثنين وأربعين باحثا لإلقاءً أبحاثهم، وشارك من إقليم كردستان العراق خمسة عشرَ بإحثاً، ثلاثة منهم من جامعة دهوك وهم كل من الدكتور صلاح هروري وياسر حسن ورمضان حجي قادر.هذا وقد ألقى التدريسي ياسر حسن المحاضرة الثانية والتي كانت في القاعة المركزية، وبحضور جماهيري كبير، وكان عنوان بحثه " حركية النور والظلام في بناء الإيقاع الشعري: مؤيد طيب أنموذجاً" وكانت خلاصة البحث(إن فلسفة الإيقاع في الشعر الكردي الحديث لا تختلف عنها في الشعر الشرقي أو الغربي الحديث، حيث يحافظ الإيقاع على شكله الثنائي، متجاوزاً أحادية البعد الصوتي– الموسيقي– إلى البعد الدلالي. ويتنوع الإيقاع وتتعدد أبعاده بحسب التعدد الوظيفي والتنوع الدلالي.

حركية الظلام والنور، كجزء من الحقل الدلالي، تعتبر مكوناً أساسياً في بناء الإيقاع عند الشاعر مؤيد طيب الذي يعتبر من رواد الشعر الكردي الحديث. من هذا المنطلق يعتبر هذا البحث محاولة لرصد وظيفة الحركية ودورها في تكوين البنية الإيقاعية. وبعد قراءة وتحليل نصوص مختارة من مجموعته الشعرية "الأغنية والثلج والنار" توصل الباحث إلى أنَّ الشاعر قد وظف ثنائية الظلام والنور بطريقة خاصة، أضفى من خلالها حركية خاصة للنصوص مجسدا فيها إيقاعا دلاليا، من خلال التحسس والشعور بظروف تاريخية سياسية قاهرة).

قناديل

ثقافة الموت اللذيذ ورمزية التدخين

لطفية الدليمي

احتلت ثقافة الدخان في عالمنا المعاصر بؤرة مركزية في مشهدية الفن والحياة اليومية، الأفلام السينمائية منذ السينما الصامتة حتى نطقت، اعتمدت التدخين وسيلة تعبيرية عن حالات عاطفية ونفسية متباينة: الشغف والعشق والحزن والتوتر والإحباط والشوق والتخطيط للجريمة، حالات تترافق مع دوائر وغمائم دخانية، وشعلات متوهجة من قداحات وعيدان كبريت تثقل المشهد بإيحاءاتها المباشرة. وفي ثقافة الدخان ورمزية التدخين رافقت السيجارة أوضاع الغواية والإغراء والتهتك في الإعلانات والسينما والمسرح والأغاني المصورة.. كما استخدم محترفو التعذيب –في سجون النظم الدموية– الكي بالسجائر كإحدى وسائل القسر الوحشي لإرغام المعتقلين على الاعتراف وإذلالهم.. أرصفة باريس لم تعد تتزين ببتلات الزهور ولا تفوح من محلاتها أشذاء عطور شانيل وايف سان لوران وشاليمار وجيفنشي بل صارت بعد تطبيق قانون حظر التدخين في المقاهي والمطاعم والحانات– مرقشة بعشرات الآلاف من أعقاب السجائر التي يلقيها المدخنون طوال نهارات العمل وليالي اللهو، وصار الدخان شخصية النهار والليل يهب عليك من أفواه المدخنين عند كل خطوة، وطرأت على ثقافة التدخين تغييرات دراماتيكية، غيرت بالتالي من صورة مدينة الفن والمتاحف والأناقة وتحولت مداخل المقاهي والمطاعم والدوائر إلى معارض لأعقاب السجائر التي يلقي بها المدخنون بلا اكتراث نكاية بمرسوم الحظر..

كل تسع ثوان يموت أحد ضحايا التدخين في العالم موتا لذيذا حتى فاق عدد ضحايا التدخين أعداد ضحايا الحروب، حرب الدخان على البشر حرب مغمسة بالشغف ومعززة بالإدمان الشهي وهي تمثل ثقافة عصر كامل متداخلة مع موجات التحديث والتطور الصناعي والاقتصادي ونزعات «السنوب» والمظهرية الاجتماعية ومترافقة مع فهم قاصر للحرية الشخصية التي يختار ممارسها الموت البطيء طوعا واختياراو يسبب الاذى لسواه بالتدخين السلبي الذي لايقل خطرا عن التدخين الحقيقي . السيجارة كانت ولا تزال أولى الممارسات الرمزية التي يلجأ إليها المراهقون لإثبات نضجهم ورجولتهم وكسرهم لتابوات البراءة الطفولية، يدخنونها لتأكيد الانعتاق من سلطة الكبار، حتى غدا مشهد الصغار المدخنين في الشوارع يشكل ثقافة جيل الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي فجرتها الحروب في أنحاء العالم من كولومبيا حتى العراق وأفغانستان وبلاد الصرب والبوسنة، مؤشر انحسار سلطة الأسرة وتفشي العدمية والنزعة الانتحارية لدى أجيال كاملة..السيجار الهافاني المنتج التجاري الثمين الذي يوفر لكوبا الفقيرة مصدرا أساسيا من العملات الصعبة –تحول إثر التغيرات الثقافية الناتجة عن التغيرات السياسية والاقتصادية إلى رمز للديكتاتورية والثراء الفاحش وترافق ظهوره في الحياة العامة والأفلام مع العنف وصعود المافيات وبروز الساسة الدمويين على المسرح الدولي، مثلما صار رمزا لمحدثي الثراء من تجار المخدرات والسلاح والرقيق البشري.. مرسوم منع التدخين في المقاهي والحانات والمطاعم وأماكن اللهو يطبق بصرامة في فرنسا، بعد أن كان معمولا به في أماكن العمل منذ عامين، وكنا نرى جمهرة الموظفين والعاملين يقفون على أبواب العمارات يمجون دخان سجائرهم ويلقون بأعقابها على الرصيف، أما الآن فقد أمست شوارع المدن الفرنسية الفضاء الوحيد الذي يتحمل عبء الدخان المطرود من فراديس المقاهي الأنيقة.. رفعت منافض السجائر من مقاهي الأرصفة والمطاعم والحانات ووضعت في بعض المقاهي كؤوس تحتفي بزنبقة أو وردة أو احتلت الموائد شموع متوهجة في أقداح بلور.. في أسبانيا رأيت اعدادا هائلة من الأطفال المراهقين صبيانا وبنات يدخنون في الشوارع وقيل لي ان سعر السجائر ارخص في اسبانيا من بقية دول اوروبا وبنفس القدر الذي يدخن فيه الاسبان صغارا وراشدين تجدهم اكثر الاوروبين شغفا بالقراءة في المقاهي والمترو والقطارات ومعظم مدمني القراءة من السيدات باعمار مختلفة وربما يفوق عدد القارئات عدد القراء المدخنين بكثير ..ثقافة الدخان والموت اللذيذ بالتبغ تواجه الآن تحديات حقيقية من الدول التي تتكبد مبالغ طائلة لعلاج الأمراض السرطانية، وتواجه مصانع التبغ إجراءات شديدة تبدأ بمنع الترويج الإعلاني للسجائر وحظر صور المدخنين في وسائل الإعلام ووضع عبارات قاسية ومخيفة على علب السجائر وزيادة أسعارها بوتيرة متصاعدة.. ترى هل بدأ عصر الهواء النظيف على كوكبنا المبتلى أم أن سادة المال والاستثمار والحروب والمافيا ومفجري السيارات المفخخة ومشعلي الحرائق سيبتكرون لنا أنواعا من الدخان القاتل لسلبنا ما تبقى من أنفاس الحياة؟

حياة ومهن وأصدقاء

باسم عبد الحميد حمودي

-٢-

كان انيس زكي حسن ناحت مصطلح اللامنتمي ومترجم كتاب كولن ولسون THE OUT SIDER الذي عج به الوسط الثقافي العربي، وقد عرفته وهو يجلس الى جوارنا، قريبا منا ولكنه لم يكن منا ، بمعنى أنه كان يضع مسافة بينه وبين الآخرين ، يزيدها بعدا اذا شاء ويزيدها قربا اذا اشتهى حوارا او حديثا.

اما (نحن) فأقصد الادباء الشبان (ومن ادعى الادب ايامها) ممن كانوا يجلسون في مقهى البلدية الذي كان واقعامدخل سوق الاحمدي في الميدان مقابلالقسم الجنوبي من وزارة الدفاع القديمة ، فقد كنا نتشكل من (اقسام وألوان) ، تظهر للرائي الخارجي وكأنها كتلة متشابهة ، لكنها ليست كذلك تماما: الاسماء هي –بحساب عام ١٩٥٦ –والاعوام التالية تتكون من كتلة ظاهرة هي كتلة احمد فياض المفرجي ، سامي حنا ، سامي مهدي ، ريسان العسكري ، خضير عبد الامير ، غازي العبادي ، اسعد محمد جعفر ،باسم عبد الحميد ، موفق خضر ،عبد الرزاق رشيد الناصري ، سلمان الجبوري ونزار عباس . الاكبر عمرا منهم هم جليل كمال الدين ، جاسم محمد الجوي ، عباس العنبر ، رشدي العامل ، صلاح نيازي ، حساني علي الكردي ،انيس زكي حسن الى مسافة من هؤلاء والى جوارهم احيانا كان يجلس المحامي محمود العبطة والشاعرعبد القادر رشيد الناصري (لا علاقة قرابة بينه وبين عبد الرزاق) والضابط فهمي القيماقجي ،وبعض الصحفيين الشباب امثال خضر الولي وحميد رشيد ومحمود الجندي. محمود الجندي اوصلني الى جريدة (الناس) المسائية وأقنع صاحبها عبد القادر السيّاب بتشغيلي مندوبا ومحررا فيها براتب مقداره عشرة دنانير لا غير ! فتح لي العمل في جريدة (الناس) التي كانت تصدرفي الساعة الثالثة بعد الظهر (هي وجريدة اليقظة وجريدة بغداد – المساء) آفاق علاقات جديدة ، اذ توثقت علاقتي بالمترجم والصحفي البارع حميد رشيد وبالمذيع عبد اللطيف السعدون(الذي كان يعمل معنا) كان السّياب قبل قدومه الى بغداد من البصرة مع جريدته احد اقطاب حزب الاستقلال بل معتمده في البصرة ، وقد فصل من الحزب لخلافات في التوجه مع او ضد السياسة السعيدية ، لكنه بقي محافظا على علاقاته مع الاخرين ، فقد تسنى لي سماع بعض مناقشاته مع زواره امثال السادة : حسين جميل وداود السعدي والحاج علي البزركان (احد رواد ثورة العشرين) وصادق البصّام وغيرهم ، وكان السياب حريصا على الانفراد بضيوفه اذا جد الجد وكانت حواراته معهم لا تستدعي وجود احد من محرريه . كان عملي الاساسي في الجريدة هو توفير الاخبار المحلية من الوزارات واخبار الجرائم من سجل وقوعات مديرية الشرطة العامة اليومي ،اذ لم تكن هناك وكالة انباء في العراق سوى رويتر،وهذه تبيع اخبارها بيعا ووكالة انباء الشرق الاوسط المصريةالتي لاتملك مقرا في العراق . وكان عملي الاخر هو تحرير الصفحات المتخصصة مثل الادب والطلبة ورسائل القراء .. الخ.وكانت الصفحة الرياضية باشراف الملاكم عبد السلام نيازي ، وكان محمود الجندي سكرتيرا للتحرير وكان يساعدني في عملية الهروب اليومية الى كلية التربية–حيث ادرس – والعودة الى مقر الجريدة المقابل للاعدادية المركزية . كان النقاش هادرا بين ادباء القصة الشبان حول واقعية القصة الفوتغرافية وضرورة التخلص منها وصولا الى الواقعية الفنية أسترشادا بكتابات عبد الملك – التكرلي واعجابا بما ينشره يحيى عبد المجيد بابان (جيان) واحتراما لكتابا ت زميلهم نزار عباس القليلة.

كانت دوائر الحياة عندي خمساً : البيت (وانا الابن الاكبر) والكلية والاصدقاء والعاطفة والجريدة ، ولكل دائرة اسيجة وطرق داخلية ومطبات وفسحات امل، والى اللقاء.

قصة قصيرة

دوائر حلم مبتكر ..

عامر القيسي

نافذة الرصاص

قذائف من نار تمرق من امام نافذة غرفته . أناس يتقاتلون فيما بينهم وسط الظلام ، فكر مع نفسه ، وعبّ في جوفه دفعة واحدة كأسا من العرق الرخيص . "ياله من حدس سحري " قال لنفسه ، السلطة والمال يخلقان الأبطال والتأريخ والحب والحروب ، لكنه كان يلتجيء الى مصيره هو ، ذلك الالتجاء الذي كان يحوّل جميع ضروب الصراعات أمامه والتناقضات الى معايير للنطق والحكم على مرحلة استلهام القتل وخيالاته . كان يتخلص من خوفه الداخلي في النظر الى هذه القوى باعتبارها قوى زائلة .. طارئة ، ستلملم ذات يوم رصاصاتها وتحرق أوراقها وتختفي خلف ألوان وجدران أخرى .صعدت الخمرة الى مكامن اسرار راسه الصغير ، تلاعبت بخيالاته التي كانت تمزق تجلياتها تلك الومضات النارية التي تمرق من أمام نافذته كشريط من نور ينبثق على حين غرة من وسط الظلام والضوضاء والخوف والافكار المشوشة . عبودية المنظر سمّرته في مكانه ، كان يتوقع أحيانا اعداد الضحايا ويتوهم في خيالاته المنفلتة من ظلام روحه اصوات صراخ قادم من البعيد ، صراخ متوسل . . ناطق .. لكنه هناك في المجهول . يضرب كفا بكف ويصرخ في داخلة – اولاد الكلب !!

وحشة الحب

طرقت باب غرفته بخفة كعادتها ودخلت . عادة تعارفا عليها من زمن الوحشة والوحدة والحرمان ، تنبأه بطرقاتها الخفيفة دائما ، وتدخل مثل .. هواء .. حلم .. خيال .. وهم .. او كذبة كبيرة في حياته المتخمة بالاكاذيب والاحلام المجهولة . رائحتها مثل غيوم شباطية تملأ غرفته العفنة بالرطوبة . تدخل بجسدها البض المعذب الممتلىء وروحها المنفلتة في سماوات الله .

"لاشيء غيره " كانت تقول لنفسها وتلقي بركام عالمها الملوث خلف ظهرها .

– ماذا يحدث في الخارج ؟

– كما يحدث في الداخل . اجابته ونفثت دخان سيجارتها ، واضافت :

– الناس تتقافز بين الرصاص وقذائف الموت العمياء .. لااحد يعرف من يقتل من ؟ انهم يطلقون الرصاص على كل اتجاه ، وينطلق الرصاص من كل اتجاه . لقد رأيت دما وسمعت صراخا .

ثم نهضت بعد أن رمت ببقايا سيجارتها من خلال النافذة المفتوحة . مرّت نسمة محملة برائحة البارود . استلقت على السرير الوحيد في حياته الوحيدة في غرفة مشبعة باحلامه واشعاره الناقصة.

قال لها مدمدما:

– النغل سقط ولم يسقط.

نهض هو الآخر ، بعد ان دفع ببقية كأسه الحار الى جوفه كعادته دفعة واحدة ، وتمدد الى جانبها ، دس رأسه بين نهديها وبكى بصمت ، هي الاخرى دسّت اصابعها النحيلة بين طيات شعره المبعثر وغفوا معا على اصوات اغانيهما واحلامهما واصوات القذائف التي كان يقترب دويها وضجيجها من حياتهما الخاصة وحبهما المبعثر منذ سنوات.

عندما يأتي الحلم

ذات لحظة من حبهما وهيامهما معا ، كانا يبنيان حلمهما المشترك ، وسط عالم من الممنوعات ، عندما كان الحلم جريمة ، كانت تنبثق امامهما عوالم للفرجة الخاصة ، يتبادلان الاسئلة والحيرة والقبلات واللذّة والخصام . كانت تأتيه دائما على حين غرّة ، في لحظات تأزمه ، عندما يتلبسه احساس بأن حلمه يتطاير مثل الرماد .. مثل بريق من نور يومض ويختفي بين ادرع الظلام والليل والنجوم البعيدة الحياة المتبسة .كان الخارج بالنسبة لهما ، مأزقهما الخاص ، عالمان لايجمعهما غير الخوف ، عالم خارج غرفته البائسة واحلامه المبتكرة ووجودها الابدي في حياته ، وعالم داخل غرفته يحاول فيه اعادة بناء توازن الحياة داخل روحيهما ، يتلويان معا ويبكيان بصمت ، يعتصران نفسيهما حتى تفوح رائحة جسديهما، كما لو انهما سيتبرآن من عالمهما في لحظة خارج تاريخهما الشخصي ، ثم يفترقان فيلتحم الخارج بالداخل وتعشش المخاوف المتوالدة في داخليهما لينطلقا الى المجهول .اين هو . اين هي ؟ فتضا حبهما معا وغادرا زمنا من رعب وخواء ، حتى مواعيدهما كانت تحدث في لحظتها . نداء من السماء أو هكذا يخيل اليها . ان اذهبي ، الحلم في غرفته ، فتطلق عالمها كلّه دون استثناء ، وتطرق الباب بخفة ودراية ، في اللحظة التي يكون هو قد بدأ بنسيج حلم جديد من عالم الرعب الذي يتكدس في رأسه دون رحمة .

رصاصة واحدة

امامه وقفت ، غرست أصابعها النحيلة المرتجفة بين طيات شعره الدبقة . انكتم الصراخ في داخلها ، وتفجرت فيها احلام حياتها البائدة . كانت اصابعها تجس حرارة جسده وهي تدبي بين طيات خصلات شعره التي اعتادتها . على كرسيّه امام النافذة كان يدور في فلك خيالاته . كل شيء ساخن في جسد بلا حراك . سائل ساخن كان لا يزال يتدفق ويلون اصابعها مدّت اصابعها وراحت تعبث بتلافيف الجسد الصامت ، المشبع بالاوهام . رصاصة واحدة اخترقت وسط جبهته سمّرته في مكانه على كرسيّه الوحيد أمام نافذته الوحيدة ، مبتسما للعالم من حوله ، كان يضحك حقيقة ، وكاد ينطق ، الاّ انها أغلقت فمه المصبوغ بالدم ودفنت رأسها في حضنه وراحت في اغفاءة هادئة حين كان صوت الرصاص يلعلع من بعيد .